نسمات الأدب

بوّابة نُوقاريس

سلاطنية رحمة - محمد بوجاهم

بوابة نوڤاريس

سلاطنية رحمة - محمد بوجهام

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : بوابة نوفاريس

المؤلف: سلاطنية رحمة - محمد بوجهام

غلاف الكتاب: همس الجنة

موك اب الكتاب: وسيم الزهري

تنسيق داخلي: منى وجيه

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

المقدّمة:

الإهداء

إلـــى أولئـــك الـــذين شـــعروا يومًـــا بـــأنهم لا ينتمون لهذا العالم،
ثـــم اكتشـــفوا أن بـــداخلهم عالمـــاً أجمـــل...
ينتظر فقط أن يُفتح له الباب.

إلى كل من اختار الحب رغم الألم،
والنور رغم الجُرح،
والتـــوازن... حـــين كـــان الجميـــع يطلـــب الحسم.
إلى "محمد" في كل قارئ...
وإلـــى "رحمـــة" التـــي تســـكن قلـــب كـــل عاشق لا يُفصح.

وإلى أنتَ...

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

نعم، أنت من فتحت هذه الصفحات...

لعلّك أنت الآخر

كنت تبحث عن بوّابتك الخاصة.

***

المقدمة

مـــا بـــين الحلـــم واليقظـــة، هنـــاك حـــدود لا تُرى...

ومـــا بـــين الحقيقـــة والخيـــال، وُجـــد عـــالمٌ لا يعتـــرف بـــالزمن كمـــا نعرفـــه، ولا بالحيـــاة كما نعيشها.

كـــان اســـمي محمـــد، شـــابًا عاديًـــا فـــي بلـــدةٍ لا يُذكر اسمها على خرائط هذا العالم.

كنـــتُ أظـــن أن الحيـــاة تـــدور حـــول الأيـــام التـــي نعـــدّها فـــي رزنامـــةٍ باهتـــة، حتـــى وجـــدت نفســـي فـــي مكـــانٍ لا يُقـــاس فيـــه العُمر بالسنوات، بل بالقرارات.

فـــي اللحظـــة التـــي فتحـــتُ فيهـــا ذلـــك الكتـــاب، لـــم أكـــن أعلـــم أننـــي ســـأخطو بقـــدمي خـــارج

عـــالمي، لأدخـــل أرضًـــا لا يخـــرج منهـــا أحـــد كما دخل.

فـــي تلـــك اللحظـــة بالـــذات... انفتحـــت بوّابـــة نُوفارِيس.

قـــد تتســـاءل الآن: مـــن أنـــا؟ وكيـــف وصـــلتُ هناك؟

لكـــن الســـؤال الأهـــم... هـــل كنـــتُ أنـــا مـــن اختـــار نوفـــاريس، أم أن نوفـــاريس كانـــت تبحث عني طوال هذا الوقت؟

مرحبًا بك أيها الغريب،

اربط قلبك، لا عقلك...

ففـــي هـــذا العـــالم، القـــرارات لا تُصـــحَّح، بـــل تُحاسَب.

***

الفهرس

المقدمة: بين القرار والقدر

🌒 الجزء الأول: العبور

- الكتاب الذي لا يُقرأ
- الاختفاء في وضح النهار
- الطريق إلى البوّابة
- نوفاريس: الأرض التي تنبض بالعقل
- الساعة التي لا تتحرك

🔮 الجزء الثاني: الممالك السبعة

- مملكـــة الصـــمت: حيـــث تُقطـــع الألســـن إن كذبت
- مملكـــة الميـــزان: حيـــث تُـــوزن قراراتـــك قبل أن تنطق

- مملكة الندم: حيث يُسجَن الذين يتمنّون العودة
- مملكة الغابة السوداء: حيث لا أحد يرى النور إلا مرة واحدة
- مملكة العُمْر المقلوب: حيث يولد الشيوخ ويموت الأطفال
- مملكة "إن فعلت" و"لو أنني"
- مملكة القرار الأعظم

الجزء الثالث: العودة... أو النهاية

- المرآة التي تكشف ما في القلب
- القرار الذي لا رجعة فيه
- نوفاريس لا تُغادر، بل تتوارى
- حين عدت... لم أكن أنا

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الأول

الكتاب الذي لا يُقرأ

كانت تلك الليلة أطول مما ينبغي، وكأن الزمن فيها توقف ليهمس لي بشيءٍ لا أفهمه.

السماء ملبّدة، والريح تداعب أوراق الشجر اليابسة في باحة منزل جدّي المهجور، الذي ورثته بعد وفاته بأسابيع قليلة. لم أكن أظن أن مجرّد عودة مؤقتة إلى هذا المكان ستفتح أمامي بابًا إلى ما لا يُصدّق.

كنتُ أرتّب بعض الصناديق القديمة في قبو الطابق السفلي، حين وجدت صندوقًا صغيرًا مغطّى بالغبار والعناكب، مغلقًا بقفل صدئ. لا يحمل أي علامة، سوى رمزين محفورين على سطحه: عين مفتوحة، وساعة بلا عقارب.

لا أعلم ما الذي دفعني لفتحه، لكنّي فعلت. ربما الفضول، أو ربّما شيء أعمق... شيءٌ جعلني أرتجف حين لمست القفل، وكأن شيئًا ما بداخله كان ينتظرني.

داخل الصندوق، لم أجد ذهبًا ولا أسرار عائلية كما توقعت، بل وجدت كتابًا جلديًا قديمًا، بلا عنوان، بلا مؤلف، وصفحاته خالية تمامًا من أي كلمات.

قلبت صفحاته واحدة تلو الأخرى، كلها فارغة. لكن حين لمست الصفحة الأخيرة، شعرت برجفة تسري في جسدي، وكأن قلبي قد تغيّر إيقاعه.

ظهر على الصفحة فجأة، وبخطٍ غريب،

لا يُشـــبه أي لغـــة أعرفهـــا، ســـطرٌ واحـــد فقط:

"حين تُفتح الصفحة، يُفتح الطريق."

لم يكن مجرّد كتاب، كان بوّابة.

وفي أقل من لحظة، سقطتُ.

نعم... سقطت، لكن ليس في القبو.

ســـقطت فـــي فـــراغٍ لا قعـــر لـــه، كـــأنني خرجت من هذا العالم... لأدخل آخر.

***

الفصل الثاني

الاختفاء في وضح النهار

حين فتحت عينيّ، لم أكن في القبو، ولا في بيت جدّي، ولا حتى في أي مكان أعرفه.

كنتُ مستلقيًا على أرض ترابية ناعمة، والسماء من فوقي تميل إلى الزُرقة الداكنة كأن الليل لم يُولد بعد، لكن الشمس أيضًا لم تشرق قط.

هواءٌ نقيٌ بشكل غير طبيعي، وجوّ ساكن بطريقة مريبة... وكأن هذا المكان لا يعرف الضجيج.

نهضتُ بتثاقل، نظرت حولي...

لا أثر لأي مدينة، لا بيوت، لا سيارات، لا بشر. فقط تلال بعيدة، وأشجار عالية لا تشبه تلك التي أعرفها. لكن أغرب ما في الأمر، أنني حين نظرت إلى يدي،

وجـــدتُ ســـاعةً ســـوداء مربوطـــة علـــى معصمي، لم تكن لي.

كانـــت بـــلا عقـــارب... تمامًـــا مثـــل الرمـــز على الصندوق.

وفـــي اللحظـــة التـــي نظـــرت إليهـــا، ظهـــرت عقاربها فجأة، لكن بطريقة غريبة:

عقرب يتحرّك إلى الخلف.

وعقـــرب آخـــر يقفـــز قفـــزًا غيـــر منـــتظم، كأنـــه يتفاعل مع دقات قلبي.

سمعت صوتًا خلفي. استدرت بسرعة...

كانـــت فتـــاة تقـــف هنـــاك، ترتـــدي رداءً رماديًـــا طـــويلًا، شـــعرها مضـــفور بإتقـــان، ونظرتهـــا ثابتـــة لا تـــوميء بـــالخوف ولا بالدهشة.

قالت لي بهدوء:

-"لقد جئت متأخرًا يا محمد... الجميع هنا يعرف أنك ستأتي، لكن لا أحد توقّع أنك ستفتح الكتاب."

رددتُ، مذهولًا:

-"أين أنا؟ وكيف تعرفين اسمي؟"

ابتسمت، ثم قالت:

-"أنت الآن في حدود نوفاريس، وقريبًا ستعرف أنك لم تعد كما كنت، ولن تعود كما كنت. أما اسمك... فالكتاب أخبرنا."

صمتُّ، لكنها تقدّمت نحوي وأعطتني ورقة مطويّة، وقالت:

-"اقرأها حين تشعر أن كل شيء ينهار... لأن تلك اللحظة ستأتي."

ثم اختفت. لا مشي، لا جري، لا صوت.

اختفت في وضح النهار، كأنها لم تكن.

وبقيتُ وحدي، في عالمٍ لا أعرف له بابًا...

لكنني أعلم الآن، أنني دخلت عبر البوّابة، ولن أخرج إلا بثمن.

***

الفصل الثالث

الطريق إلى البوّابة

السكينة التي أحاطت بي لم تكن طمأنينة... بل صمتًا ثقيلًا، كأن الأرض تحبس أنفاسها بانتظار ما سأفعله.

كنتُ أقف في أرضٍ لا تنتمي لهذا الكوكب، ولا لهذا الزمن. لا طيرٌ يغرّد، ولا نملة تدبّ، فقط أشجار طويلة كأنها خناجر مغروسة في السماء، وسحبٌ ساكنة كأنها رُسِمت على صفحة من الخيال.

مشيتُ، أو هكذا ظننت. فكل خطوةٍ أخطوها كانت تأخذني إلى مكانٍ لا يشبه الذي قبله، كأن الأرض تتبدّل تحت قدميّ دون أن أراها تتحرك.

كان الهواء يحمل رائحة غريبة... لا هي عطرٌ ولا دخان، بل مزيجٌ من خشبٍ

محتــرق وحبــرٍ قــديم، كــأن الماضــي يتــنفّس حولي.

مــررتُ بشــجرة ذات لحــاء يشــبه الــورق، وكــأن جــذعها كُتــب عليــه شــيءٌ بلغــة لا تُقرأ، لكنها تُفهم.

كــل شــيء هنــا لــه ذاكــرة. كــل حجــرٍ يهمــس، وكل غصنٍ يروي.

شــعرتُ بــأن الأرض نفســها تراقبنــي، لكــن بصــبرٍ عجيــب، كأنهــا تنتظــر لحظــة انكســاري أو انتصــاري... أيّهمــا يــأتي أولًا.

وفجأة، سمعته.

صــوتٌ خافــت، لا هــو همــس، ولا هــو غنــاء، بــل كأنــه صــدى لنــداءٍ قــديمٍ جــدًا...

كــان يــأتي مــن بعيــد، مــن بــين الأشــجار

التـــي تشـــكّلت فجـــأة علـــى هيئـــة قـــوسٍ طبيعي، كأنها تُرشدني إلى دربٍ خفيّ.

اقتربت.

وكان هناك... الباب.

بوّابـــةٌ مـــن حجـــر، منقوشـــة برمـــوزٍ تتـــوه فيها العيون، وتتخبّط فيها المعاني.

فـــي وســـطها دائـــرة ذهبيـــة، يتوسّـــطها رمـــز يشبه ساعتي تمامًا: عقربان لا يتفقان.

حـــين لمســـتُ الحجـــر، ارتجـــف الهـــواء، وتراقصت التربة، وانشقّ الصمت...

وإذا بصـــوتٍ عميـــق، لا أعلـــم مصـــدره، يخترق سكون العالم قائلاً:

"مـــن دخـــل نوفـــاريس، لا يخـــرج منهـــا كمـــا دخـــل... فهنـــا، كـــل قـــرار يُكلفـــك مـــن عمـــرك، لا من وقتك."

ارتجف قلبي، وابتلعتُ ريقي.

لكنني لم أتراجع. بل تقدّمت.

فالبوّابـــة لا تُفـــتح لمـــن ينتظـــر... بـــل لمـــن يختار.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الرابع

نوفاريس – الأرض التي تنبض بالعقل

حين عبرتُ البوّابة، لم أشعر أنني دخلت مكانًا جديدًا... بل كأنني خرجت من نفسي.

لم أعد محمد الذي كان يرتّب كتبًا مغبرّة في قبوٍ قديم.

صرتُ كائنًا عاري الإدراك، كل ما فيّ يرتجف، ليس من الخوف... بل من شعورٍ أعمق، كأنني في حضرة شيءٍ لا يُوصف.

أرض نوفاريس لم تكن أرضًا، بل لوحة مرسومة بعقلٍ خارق.

السماء بلون الزبرجد، تنزف نورًا ناعمًا لا شمس فيه ولا قمر

الأشجار عملاقة، أوراقها تتدلّى كستائر حريرية، وجذوعها تشعّ بخيوطٍ فسفورية كأنها شرايين تنبض بالحكمة.

الهواء... لم يكن مجرد هواء، بل كأنه ذاكرة تتنفس من حولي، تحكي لي دون صوت: "احذر، كل شيء هنا يعقلك."

مشيتُ على طريقٍ مُبلّط بأحجارٍ سداسية، كل حجر منها يُصدر صوتًا خافتًا تحت قدمي، كأن الأرض تكتب خطواتي في سجلٍّ خفيّ.

لم أكن وحدي، لكن لم يكن هناك أحد.

ثمّ ظهرت المدينة.

مدينة من زجاج الفكر وحجر المنطق، أبنيتها ترتفع كأعمدة المعرفة، نوافذها عيونٌ مفتوحة على كل من يدخل.

في وسطها، تمثال ضخم لرجلٍ دون ملامح، ممسك بميزان في يد، وساعة بلا أرقام في الأخرى.

وعند قاعدته، نُقشت عبارة:

"العقل هنا سيّد كل شيء، ومن عصاه... نقص عمره يوماً."

وقفتُ مذهولًا، حتى جاءتني امرأة مسنّة، ترتدي عباءة بلون الليل، وعصاها من بلّور شفاف، لها وجه هادئ، لكنه لا يبتسم.

قالت:

-"أهلاً بك في نوفاريس، حيث لا يُقاس الإنسان بعمره، بل بقراراته."

ثم أكملت بعد صمت قصير:

-"في هذا العالم، كلّ قرار تأخذه، يُضيف إلى عمرك أو ينقص منه... حسب حكمتك."

همستُ، بالكاد خرج صوتي:

-"وهل يمكن لأحد أن يعيش طويلًا هنا؟"

أجابت بابتسامة غامضة:

-"الأحمق يُفني نفسه في يوم... والحكيم يعيش قرونًا دون أن يُدرك."

ثم أشارت إلى ساعةٍ ضخمة معلّقة في السماء، لا تتحرك إلا عندما يتخذ شخصٌ قرارًا.

وقبل أن أطرح سؤالًا آخر، شعرتُ بساعة يدي تهتز...

نظـرْتُ، فوجـدت عقربًـا جديـدًا قـد ظهـر...

عقـربٌ أحمـر، ينـبض مـع كـل تفكيـر، ويقفز كلما تردّدت.

وهنا أدركت الحقيقة المرعبة:

فـي نوفـاريس، التفكيـر وحـده لا يكفـي...

بل عليك أن تختار.

وكـل اختيـار... يُكلفـك مـن عمـرك، لا مـن وقتك.

***

الفصل الخامس

الساعة التي لا تتحرك

في قلب مدينة نوفاريس، حيث لا تُقاس الأيام بالساعات، بل بالقرارات، كان هناك بناءٌ واحد لا يُشبه شيئًا حوله...

برج طويل، أسود اللون، بلا نوافذ، بلا أبواب، وعلى قمته ساعة عملاقة... ساعة لا تتحرك.

سُميت بين السكان بـ"ساعة الجمود". لا أحد يعرف من بناها، ولا متى. لكنها كانت هناك منذ الأزل، تُطلّ على كل نوفاريس بنظرة فارغة، عقاربها متوقفة على الثانية صفر.

قالوا لي:

-"حين تتحرك تلك العقارب... سيتغير كل شيء."

لكن لا أحد يجرؤ على الاقتراب منها.

في تلك الليلة، وبينما كنتُ أسير وحدي في الأزقة، شعرتُ بشيء يراقبني. لم يكن بشرًا... كان ثقلًا على صدري، ونَفَسًا باردًا على عنقي، كأن أحدهم يقف خلفي دون ظل.

توقّفت، التفتّ. لا أحد.

لكني رأيت شيئًا... لا، شخصًا.

كان هناك، خلف ضبابٍ خفيف يتجمّع بين الأبنية: رجلٌ يرتدي معطفًا طويلًا، وجهه مغطى بقناع أبيض لا يحمل ملامح، عدا فتحتين ضيقتين مكان العينين، لكن ما من عيون خلفهما.

أشار إليّ دون أن يتكلم.

ثم أدار ظهره، وسار نحو البرج... برج الساعة التي لا تتحرك.

شـــعرت أن قـــدميّ تتحركـــان رغمًـــا عنـــي. شـــيء مـــا، أقـــوى مـــن الخـــوف، أقـــوى مـــن العقل، يدفعني إلى اتّباعه.

وكلمـــا اقتربـــتُ مـــن البـــرج، تغيّـــر الهـــواء مـــن حـــولي... كـــأن العـــالم بـــدأ يســـعل، كـــأن نوفاريس نفسها لا تريدني أن أقترب.

وصـــلتُ إلـــى قاعـــدة البـــرج، والرجـــل لا يـــزال واقفًـــا هنـــاك، لا يتحـــرك، لا ينطـــق، فقـــط يُحدّق في الباب الحجري المغلق.

ثـــم همـــس بصـــوتٍ خافـــت، خـــرج كأنـــه داخـــل رأسي:

"يـــا مـــن جئـــت مـــن عـــالم الخيـــارات... هـــل تجرؤ أن تختار فتح هذا الباب؟

لأنـــه بعـــده، لـــن يكـــون هنـــاك رجـــوع... لا في العمر، ولا في المعنى."

وقبـــــل أن أجيـــــب، اختفـــــى... تبخـــــر كالسراب.

وبقيـــتُ واقفًـــا، والبـــاب أمـــامي، والســـاعة من فوقي...

ما زالت لا تتحرك، لكن عقلي بدأ يدقّ.

هل أفتح؟ أم أنتظر؟

وهنـــا، اهتـــزّت ســـاعتي مجـــددًا... العقـــرب الأحمر يقفز، ينبض، يرتجف.

ثم ظهرت عبارة جديدة على الشاشة:

"عليـــك أن تختـــار... قبـــل أن يختـــار عنـــك الزمن."

***

الفصل السادس

مملكة الصمت : حيث تُقطع الألسن إن كذبت

لم أفتح باب البرج... بل الباب هو من انفتح لي، دون أن ألمسه.

صوت الحجر وهو ينزلق كان كأنينٍ قديمٍ خرج من صدر الزمن، وتسلّل من خلاله ضوء رمادي باهت، لا نور فيه ولا ظلمة.

تقدّمت، كأنني أسير في حلمٍ قديم رأيته ولم أره، ووجدت نفسي داخل ممرّ طويل محفوف بالجدران السوداء التي تعكس أفكاري لا وجهي.

نعم... انعكاسي لم يكن جسدي، بل ما أفكّر فيه.

كل خطوة كنتُ أخطوها، كانت تُظهر صورًا خافتة من ماضيي... لحظات

نـــدمتُ عليهـــا، كلمـــات لـــم أقلهـــا، وقـــرارات تهرّبتُ منها.

لكـــن فـــي نهايـــة الممـــر، وصـــلتُ إلـــى مـــا لـــم أتوقّعه.

مدينة كاملة داخل البرج.

مدينة صامتة.

أنـــاسٌ يمشـــون ويتحـــدثون بـــأعينهم فقـــط، شـــفاههم مغلقـــة بخـــيطٍ شـــفاف، كـــأن الصمت طُبع عليهم كقدر.

وفـــي وســـط المدينـــة، لافتـــة حجريـــة نُقـــش عليها:

"مرحبـــا بـــك فـــي مملكـــة الصـــمت، حيـــث لا يُســـمع الكـــذب... بـــل يُقتلـــع."

اقتـــرب منـــي رجـــلٌ يرتـــدي عبـــاءة ســـوداء

بقبعة تغطي وجهه. مدّ لي دفترًا صغيرًا وقلما، وكتب فيه:

-"في هذه الأرض، لا أحد يتكلم إلا بصدقٍ مطلق. الكلمة هنا لا تُقال... إلا إذا كانت تزن من الحق ما يكفي أن يُفقدك لسانك."

سألته بالكتابة:

-"وإن نطقتُ كذبة؟"

أجاب، بابتسامة حزينة، وكتب:

-"ستفقد صوتك... إلى الأبد. الكاذب في نوفاريس، لا يُعاقَب... بل يُمحى."

شعرتُ بقشعريرة تسري في جسدي... كيف يمكن لعالمٍ أن يُقيم ميزان العدل في كل حرف يُنطق؟

لكنـــي كنـــت أعلـــم أننـــي لـــم آتِ إلـــى هنـــا صدفة.

وبينمـــا أراقـــب المدينـــة، رأيـــت فتـــاة صـــغيرة تُمسك بورقة عليها رسمٌ لطفل يبكي.

نظـــرت إلـــيّ، واقتربـــت، ثـــم ســـلّمتني الورقـــة... وفـــي اللحظـــة التـــي لمســـتُها، رأيتُ مشهدًا بعينيها:

كانـــت تنطـــق بالحقيقـــة، لكـــن أحـــدهم اتّهمهـــا بالكـــذب... فـــاختفى صـــوتها، ثـــم اختفـــى وجه من كذب عليها.

فـــي هـــذه المملكـــة، الحقيقـــة لا تُحمـــى... بـــل تنتقم.

وبينمـــا كنـــت أغـــوص فـــي دهشـــتي، جـــاء الصـــوت... نفـــس الصـــوت القـــديم، مـــن العدم:

"أيها القادم من عالم الضجيج...

إن أردت النجـــاة فـــي نوفـــاريس، تعلّـــم أن تصـــمت... لا لأنـــك تخـــاف، بـــل لأنـــك تفهم."

***

الفصل السابع

أصدقاء من الماضي... أعداء في الحاضر

كنـــت أظننـــي وحـــدي... لكـــن نوفـــاريس لا تترك أحدًا وحده طويلاً.

وبينمـــا كنـــتُ أتجـــوّل فـــي مملكـــة الصـــمت، شـــعرتُ بشـــيءٍ يتحـــرك خلفـــي بخفـــة الهواء، لكنه ثقيل كالشبهة.

التفتُّ فجأة... وتجمّدت ملامحي.

كان هو... أنيس.

رفيقـــي القـــديم. صـــديق الطفولـــة الـــذي افترقنا بعد شجارٍ أحمق لم يُغلق يومًا.

كـــان يقـــف أمـــامي، يرتـــدي زيًـــا غريبًـــا، نصـــفه فضّـــي ونصـــفه أســـود، فـــي عينيـــه نظرة لم أعرفها من قبل...

نظرة من يعرف شيئًا لا تودّ أن تعرفه.

كتب على اللوح الذي يحمله:

-"مرحبًا، محمد... تأخّرت كثيرًا."

سألته بحدّة:

-"كيف وصلت إلى هنا؟"

فابتسم، وكتب:

-"لم أصل... أنا كنت هنا قبلك."

وفي لحظةٍ، انضمّ إلينا شخص آخر... فتاة.

عيناها من لهبٍ مطفأ، شعرها معقود بضفيرة طويلة تصل خصرها، على جبهتها وشمٌ يُشبه رمز الساعة.

قالت بلغة غريبة، لكني فهمتها:

-"هذا هو؟ هو الذي فُتحت له البوابة؟"

ردّ أنيس وهو يكتب:

-"نعم... هو من اختار أن ينسى."

تراجعتُ خطوة للخلف... ما الذي يقصدانه؟

من هذه الفتاة؟ وكيف يعرف أنيس عن البوابة؟

وهنا، تقدّمت الفتاة ونظرت في ساعتي، وقالت بصوت منخفض:

-"عقربك الأحمر بدأ يتسرّع. هذا يعني شيئًا واحدًا... الكذبة اقتربت منك."

قلتُ بخوف:

-"أي كذبة؟"

قالت:

-"أنت لست هنا لتبحث عن الحقيقة... بل تهرب منها."

ارتجفت. كيف يمكنها أن تعرف هذا؟

هل دخلت نوفاريس بكذبة؟

هل كانت رغبتي في المعرفة... مجرد

ســـتار للهـــروب مـــن شـــيءٍ لا أجـــرؤ علـــى مواجهته؟

وهنا، صرخ أنيس لأول مرة:

-"أخبره، نالا! أخبريه من هو حقًا!"

لكـــن قبـــل أن تنطـــق، اهتـــزّت الأرض تحـــت أقـــدامنا، وتشـــقّق الهـــواء فجـــأة كمـــا لـــو أن السماء انكسرت.

ظهـــر مـــن الفـــراغ ظـــلٌ كثيـــف... مخلـــوق لا ملامـــح لـــه، لكـــن وجـــوده وحـــده جعـــل الوقـــت يتباطـــأ، والســـكون يتحـــوّل إلـــى فوضـــى صامتة.

قالت نالا بهمسٍ مرتجف:

-"لقد عثر علينا... حارس الذاكرة."

سألتها بلهفة:

-"من هو؟"

قالت، ونظراتها تغوص في عينيّ:

-"هـــو مـــن يُعيـــد الحقيقـــة لمـــن هـــرب منهـــا... حتـــى لـــو اضـــطر أن يُمزّقـــك لتخرج."

***

الفصل الثامن

حارس الذاكرة... عندما يتكلّم الصمت

لم أتحرّك.

حتى نبضي تردّد، كأن قلبي نفسه لا يريد أن يسمع ما سيأتي.

الظلّ كان يزحف نحونا، لا يمشي بل ينزلق كما لو كان دخانًا حيًّا، وعيونه، إن صحّ أن نسميها عيونًا، كانت فجوات من ظلامٍ حيّ، تتّسع كلما اقترب.

صوت الصمت تغيّر... صار ثقيلًا، مشوّهًا، وكأن الكلمات التي لم تُقل عبر العصور تجمّعت لتصرخ من داخله.

همست نالا، وهي تُخفي وجهها بيدها المرتعشة:

-"لا تنظر في عينيه... إن نظرت، سيسرق ذكرياتك ويحبسها في قلبه."

سألتها بذعر:

-"من هو؟! ما هذا الشيء؟!"

أجابت أنيس، وصوته هذه المرة لم يُكتب... بل سُمع. نعم، سمعت صوته، وهو أول صوت سمعته هنا منذ دخلت مملكة الصمت.

قال: "ذلك هو الحارس... تجسيد الذاكرة التي لم تُعترف بها. إن كنتَ قد نسيت شيئًا مهمًا، محمد... سيتذكّره عنك، لكنه سيجعل ثمنه باهظًا."

في لحظة خاطفة، اندفع الحارس نحوي، ولمست أطراف ظلّه أطرافي.

جسدي لم يتحرّك، لكن روحي اهتزّت.

وفي ومضة، رأيت ذكرى لم أكن أتذكّرها...

كنتُ طفلًا في العاشرة... أُمسك يد فتاة صغيرة تبكي عند بابٍ رمادي...

وكنتُ أعدها أن أعود.

لكني لم أعد.

سألت نفسي، قبل أن يسألني أحد: من هي؟ ولماذا نسيتها؟ ولماذا... أشعر أنني خُنت شيئًا مقدّسًا برحيلي؟

قبل أن أستوعب الصورة، اختفى الحارس... تاركًا وراءه أثرًا متوهّجًا على صدري، على شكل بابٍ صغيرٍ من الضوء.

قالت نالا:

-"لقد طبعك... وهذا يعني أنه سيعود، وسيطلب منك أن تفتح هذا الباب في اللحظة التي لا تختارها أنت."

وقبل أن أجيب، ظهرت فجأة امرأة مسنّة بثوبٍ أبيض مُزخرف برموز غريبة... وقفت على حافة المدينة وقالت بصوتٍ جاف:

-"محمد... أنت الآن مدعوّ لحضور طقس الذاكرة.

حيث تُعرّى الروح... ويُكتب المصير."

قال أنيس بصوتٍ خافت:

-"هذا يعني أن نوفاريس بدأت تتعرّف عليك... وأنها إما ستقبلك، أو... تبتلعك."

***

الفصل التاسع

طقس الذاكرة... أبواب تُفتح من الداخل

كانت المدينة تتنفّس صمتًا أعمق مما مضى، وكأنها علمت أن ما سيحدث الآن ليس عادياً... بل بدايةُ التحوّل.

اقتادتني العجوز بثبات نحو ساحة دائرية محاطة بتماثيل بلا وجوه.

كل تمثال كان يحمل مرآة صغيرة، لكنها لا تعكس وجهي... بل ماضيّ.

في منتصف الساحة، حجرٌ مسطّح محفور عليه رمز يشبه قفلًا مقلوبًا.

قالت العجوز بصوت بدا كأنه قادم من جوف المقابر:

-"اجلس هنا، على حجر الطقوس... وضع يدك اليمنى على قلبك، واليسرى على الأرض.استعد... فإن الباب على وشك أن يُفتح."

أغمضتُ عينيّ.

وسمعت الطنين... طنينًا داخليًا، كأن الماضي يقرع جدران ذاكرتي يستجدي الخروج.

فجأة... لم أعد في نوفاريس.

وجدت نفسي في مدرسة قديمة... كنت أجلس في مقعد خلفي، وإلى جانبي طفلة شاحبة ترتدي وشاحًا أحمر.

همست لي:

-"محمد، هل ستعود؟"

وأجبتها في الذكرى:

-"أعدك... سآتي غدًا."

لكن ما رأيته بعد ذلك... لم أره من قبل.

رأيت تلك الطفلة تبكي أمام باب مغلق، تصرخ... ووجهي لم يظهر.

ثم صعدت سلّمًا من نور، وكل درجة تصعدها... كانت تمحو من ملامحها شيئًا.

وفي النهاية... اختفت.

استيقظتُ من الطقس أتنفّس بعنف، والغبار يملأ صدري، وقطرات العرق تسيل كأنني خرجت من معركة.

قالت العجوز وهي تنظر إليّ بنظرةٍ خالية من الرحمة:

-"لقد رأيت أولى الذكريات المحجوبة... والطفلة التي نسيتها لم تُخلق من خيال، بل من وعد لم تُوفِ به."

اقترب أنيس وهمس:

-"اسمها ليلى... كنتُ أعرفها. كانت تنتظر عودتك كل يوم. لكن في

نوفـــــاريس... الوعـــــود التـــــي لا تُـــــوفى، تُخلّف أرواحًا ضائعة."

سألت وأنا ما زلت أرتجف:

-"هل ماتت؟"

أجابت نالا ببطء:

-"بـــل هـــي حبيســـة هـــذا العـــالم، تبحـــث عنـــك... لكنهـــا لـــم تعـــد تتـــذكّر اســـمك، فقـــط تشعر بالخيانة."

أدرتُ وجهي إلى العجوز، فسألتها:

-"ما المطلوب مني؟ كيف أُحرّرها؟"

ابتســـمت العجـــوز، وكانـــت أول مـــرة تبتســـم فيها، وقالت:

-"لتحريرهـــا... عليـــك أن تـــدخل إلـــى معبـــد الضمير، وتُواجه مرآة الكينونة."

-"وهل المعبد هنا؟"

قالت نالا:

-"لا... إنه في قلب نوفاريس، في مدينة لا يجرؤ أحد على دخولها إلا إذا خسر شيئًا عزيزًا."

قال أنيس:

-"اسمها ڤاليمورا... مدينة الذنوب القديمة."

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل العاشر

ڤاليمورا... مدينة الذنوب القديمة

كل شيءٍ تغير بعد طقس الذاكرة.

كنت أظنني أبحث عن إجابات، فإذا بي أُفتّش عن ذاتي بين شظايا الذكريات، وأبحث عن طفلةٍ وعدتُها بالعودة... ثم نسيت.

لكن الطريق إلى ڤاليمورا لم يكن معبّدًا بالحجارة... بل بالندم.

قالت العجوز قبل أن نغادر الساحة:

-"الطريق محفوف بالظلال... ولا أحد ينجو فيه دون مرآةٍ يرى بها روحه، ورفيقٍ يحرس قلبه من التيه."

وما إن خرجنا من بوابة مملكة الصمت، حتى وجدناها هناك... واقفةً في انتظارنا، كأنها تعرف كل شيء.

رحمة.

شـــابة فـــي العشـــرينات، ذات وجـــهٍ هـــادئ الملامح، وعينين بلون الغيم قبل المطر.

كانـــت تحمـــل كتابًـــا صـــغيرًا معلّقًـــا بسلســـلة فضّـــية، وتضـــع فـــي معصـــمها الأيســـر ســـاعة رملية دقيقة لا تتوقف.

قالت بصوتٍ رخيم:

-"أنـــا رحمـــة... مُرســـلة مـــن نقابـــة الحـــرّاس الـــداخليين لأرافـــق محمـــد فـــي رحلتـــه إلـــى ڤاليمورا.اســـمه كُتـــب فـــي كتـــابي... ولا يحـــق لـــه دخـــول المدينـــة دون أن أكون معه."

سألها أنيس بشكّ:

-"ومن أرسلك؟"

أجابت بثقة:

-"الساعة... لا أحد يرسلنا نحن، بل الوقت نفسه."

نظرتُ إليها بدهشة... وشعرت بشيء غريب، راحة لم أشعر بها منذ دخلت نوفاريس، كأنّ قربها يُحدث في روحي توازنًا ما.

قالت لي بهدوء:

-"محمد، الطريق إلى فاليمورا يمرّ عبر نفق الغفران، وهناك... سيُطلب منك أن تتذكّر ذنبًا نسيته عمداً.

وكلما تردّدتَ... اقتربت الظلال."

تحرّكنا.

كان النفق ضيقًا في بدايته... ثم بدأ يتوسّع، لكن الجدران تحوّلت تدريجيًا إلى مرايا سوداء، تعكس صورًا

مشـــوّهة، وجوهًـــا مألوفـــة لكـــن بعينـــين مطفأتين.

فـــي وســـط النفـــق، وقفـــت رحمـــة، وأمســـكت الكتـــاب المعلّـــق برقّتهـــا، وفتحـــت صـــفحة فارغـــة... لكنهـــا لـــم تكـــن بيضـــاء، بـــل كانـــت تحـــوي اســـمي، وتـــاريخ دخـــولي نوفـــاريس، وأسفلي سطر لم يُكتب بعد.

قالـــت: "هـــذا الســـطر يُكتـــب الآن... اختـــر: هـــل تعتـــرف بـــذنبك؟ أم تتركـــه خلفـــك ويلاحقك إلى الأبد؟"

ارتعش صوتي:

-"أي ذنب؟"

قالـــت: "الـــذي دفنتـــه فـــي أعماقـــك، حـــين اختـــرت أن تتظـــاهر بالنقـــاء."

وقبـــل أن أجيـــب، انطفـــأت كـــل الأنـــوار فـــي

النفـــق... وظهـــر وجـــهٌ واحـــد علـــى الجدار... وجه ليلى.

قالت رحمة:

-"هـــذه هـــي اللحظـــة... إمّـــا أن تعتـــرف... أو تُطـــرد مـــن النفـــق قبـــل الوصـــول إلـــى فاليمورا."

همستُ... والكلمات خرجت ثقيلة:

-"أنـــا... تركتهـــا. وعـــدتُها وعـــدًا لـــم أُرِد الإيفـــاء به.نســـيتها، لأننـــي ظننـــت أنهـــا لـــن تـــؤثر بـــي... لكنهـــا ظلـــت تســـكنني دون أن أشعر."

أغلقـــت رحمـــة الكتـــاب بلطـــف، وقالـــت بصوت كأنّه موسيقى:

-"الاعتـــراف... هـــو أولـــى بوابـــات فاليمورا."

وانفتح النفق أمامنا... ليُطل على مدينة مائلة إلى البنفسجي، مُعلّقة على جرف، مليئة بالأبراج الصامتة، والممرات التي تقودك إلى نفسك.

فاليمورا... نحن قادمون.

***

الفصل الحادي عشر

مرآة الكينونة... وجهك كما لم تره من قبل

كانت ڤاليمورا مدينة لا تُشبه شيئًا مما رأيناه من قبل.

بناياتها تنبع من الأرض كما تنمو الأشجار، والجدران تتنفّس، والممرات تلتف حول نفسها كأن المدينة حيّة... تراقب الداخلين، وتُصنّفهم.

كلما خطونا خطوةً، تغيرت الملامح من حولنا... الأزقّة تُضيء عندما نقترب، وتُظلم حين نمر.

قالت رحمة، وهي تنظر نحو برجٍ حجريّ مغلف بالضباب:

-"هناك... في الأعلى، توجد مرآة الكينونة. المكان الذي لا يُسمح لأي كائن أن يُخفي شيئًا فيه."

سألتها: "وماذا أرى في هذه المرآة؟"

أجابت بعينين دامعتين:

-"وجهك... الحقيقي. لا وجهك الذي صنعته، بل ذاك الذي تراه روحك حين تنظر إليك."

صعدنا الدرجات بصمت.

وكانت كل درجة تحمل صدى من الماضي، أصواتًا بعيدة، منها من نسيته، ومنها من تمنيت نسيانه.

في الأعلى... لم نجد مرآة تقليدية، بل حوض ماءٍ أسود، ساكنٍ تمامًا.

وفوقه، كتبت كلمات بلغة نوفاريس:

"مَن نظر فيّ... رآه الجميع كما هو، لا كما يريد أن يكون."

اقتربت، وانحنيت على سطح الماء...

فرأيت.

رأيتني طفلاً جبانًا يهرب من مواجهة الحقيقة.

شابًا متردداً يختار الصمت حين يجب أن يصرخ.

رجلاً يُجيد الكتمان أكثر من الاعتذار.

لكنني أيضًا... رأيت نورًا.

رأيتني أمدّ يدي إلى فتاة صغيرة تبكي، وأحمل عنها الألم... رأيتني أبكي، وأضحك، وأسير وسط العتمة بشجاعة مَن لا يملك سوى إيمانه.

تراجعت.

شهقت رحمة وكأنها شعرت بما رأيت.

قالت:

-"أنت... من القلائل الذين رأتهم المرآة ولم تكسرهم."

ابتسمتُ... لأول مرة منذ زمن.

ثم نظرت إلى أنيس، فكان شاحبًا، يتجنّب النظر إلى الحوض.

قال: "أنا... لم أجرؤ على النظر. لا مرة، ولا حتى في الحلم."

مدّت رحمة يدها إليه برفق:

-"ربما حان الوقت... لتواجه ما تخشاه. لن تعبر إلى آخر نوفاريس دون أن تنظر."

تردد، ثم انحنى.

وبعد لحظة... صرخ.

صرخة لم تكن من الألم، بل من التعرّي الكامل.

دمعت عيناه، لكنه ابتسم بعدها وقال:

-"كنت أظنني ظلًا... لكنني كنت يومًا ضوءًا."

نزلنا من البرج، وأبواب المدينة بدأت تفتح تلقائيًا...

قالت رحمة:

-"نوفاريس قبل المرآة... غير نوفاريس بعدها.

أنتم الآن، مستعدون لعبور نقطة اللاعودة."

وقبل أن نتحرّك، وقف أمامنا شيخٌ أعمى يحمل عكازًا من العظم، وقال بصوتٍ كأنه يُشبه الصدى:

-"انتظروا... لقد دخلتم قاليمورا غرباء، لكن من منكم سيخرج حيًّا؟ قبلكم، دخل

تسعة... ولم يخرج منهم سوى واحد، وقد خرج مجنونًا."

سأله محمد بشجاعة:

-"ومن كان هذا الواحد؟"

ابتسم الشيخ ابتسامة مكسورة، وهمس:

-"أنا."

***

الفصل الثاني عشر

نقطة اللاعودة... حين تصبح الأسئلة أقسى من الأجوبة

منذ أن رأيتُ انعكاسي في مرآة الكينونة، تغير كل شيء.

كأن نوفاريس كانت تنتظر لحظة المواجهة لتبدأ في الانحناء قليلاً... وكأنها احترمت صدقي.

لكن أكثر ما أربكني... لم يكن نَفسي، بل رحمة.

بدأت أراها بعينٍ أخرى... لا تلك التي ترافق رفيقة طريق، بل كمن وجد في وسط الظلال ضوءًا يليق بالبقاء.

هي لم تكن مجرد دليل... كانت طمأنينة تسير على قدمين.

صوتها يُربكني... ونظراتها كانت في بعض اللحظات أشدّ من أبواب ڤاليمورا.

في الليل... جلسنا عند بوابة السُهاد،

حيث يُشترط الانتظار ليومٍ كامل قبل دخول ما يسمونه "أرض السؤال الأخير".

كان أنيس نائمًا، لكنني كنت ساهرًا.

رحمة كانت تُقلب صفحات كتابها المعلّق بسلسلة، تكتب شيئًا بخطّ صغير، ثم تمسحه بلمسة من طرف إصبعها.

سألتها: "ماذا تكتبين؟"

أجابت دون أن تنظر إلي:

-"أرصد اللحظات التي قد لا تتكرر.هذا الكتاب لا يُسجّل الحقيقة فقط، بل ما نشعر به أيضًا."

سكتُّ قليلاً... ثم تماديت:

-"وهل تسجّلين عني؟"

ابتسمت دون أن ترفع عينيها:

-"كل لحظة. حتى هذه."

قلتُ بتردد:

-"وما الذي شعرتِ به الآن؟"

رفعت بصرها نحوي، وكانت المرة الأولى التي أطال فيها النظر في عينيها بهذا العمق...

فقالت بهدوء يربك الجبال:

-"شعرتُ بأنك لا تسألني لأعرف أنا... بل لتعرف أنت ما تشعر به."

صمتٌ.

هواء الليل كان باردًا... لكنها كانت أقرب من أن يُشعرني به.

اقتربتُ منها، لا جسدًا... بل روحًا.

قلت: "منذ بدأت الرحلة... كنتُ أظن

أنني أبحث عن ليلى، عن نَفسي، عن نوفاريس...لكنني الآن، أبحث عنكِ."

انخفضت عيناها للحظة... ثم رفعت رأسها وقالت:

-"محمد...

أنا لستُ مما يمكن أن تملكه. أنا ظلٌّ يسير معك لأن الرحلة تقتضي ذلك...

لكن لو كان قلبك صادقًا،

فحين تنتهي الرحلة... ربما، فقط ربما... أقرر أن أبقى."

اقتربتُ أكثر، ووضعت يدي على الكتاب المعلّق في صدرها.

-"إذن اتركي سطرًا لي في صفحتك القادمة... لا تكتبيه بعد، فقط احتفظي بمكانه. سأملؤه يومًا بما أستحق."

أغلقت الكتاب.وهمست:

-"فعلت."

وفي تلك الليلة... لم أشأ أن أنام.

كنتُ أراقب السماء، وأتساءل:

"كيف لعالمٍ كئيب مثل نوفاريس... أن يمنحني شيئًا بهذا الصفاء؟"

لكن في الصباح... جاء الحارس عند البوابة، وقال بجفاف:

-"أحدكم لن يدخل أرض السؤال الأخير... هناك قرار يجب أن يُتخذ.

الروح الأضعف... ستُمنع من العبور."

نظرتُ إلى أنيس... ثم إلى رحمة.

لكنها تقدّمت وقالت:

-"لن يُمنع أحد. أنا... سأبقى خلف البوابة."

صرخت:"لا! هذا ليس عدلاً!"

قالت بهدوء:

-"لا أحد يدخل أرض السؤال الأخير وفي قلبه شيء لم يُحلّ... وأنا، لا زلتُ أخشى الحب."

ثم نظرت إليّ بعينين دامعتين:

-"حين أعود... إن عدتُ، سأنظر إليك من جديد.

وإن لم أعد... فاعلم أن الحبّ قد خلّدني فيك."

***

الفصل الثالث عشر

رحمة... ظلّ من نور

قبل أن تكون "رحمة" كما عرفها محمد، كانت تُدعى في سجلات نوفاريس القديمة باسم: را-هاما، وهي كلمة من اللغة المنسية تعني "التي ترى القلوب ولا تُرى".

وُلدت رحمة في معبد الأثر الأول، حيث يُربّى أولاد النبوءات بعيدًا عن العالم، تحت إشراف الكُهنة العميان الذين لا يرون الأجساد، بل الهالات.

كانت الطفلة الوحيدة بين سبعة عشر ولدًا، لكنها كانت الأشدّ نقاءً... والأشدّ عنادًا.

كانت ترى الأحلام قبل أن تنام، لا أثناء النوم...

وكانت تسمع الهمسات في الكتب المغلقة، وتبكي إن اقترب أحد من "مرآة الصمت"، حيث يذهب الأطفال ليُختبروا.

قال عنها كاهن الظلال ذات مرة:

-"لو اختارت رحمة طريقها... لغيّرت شكل نوفاريس."

لكنها لم تختر... بل أُجبرت.

في عام "الانكسار العاشر"، اجتاحت الفوضى أرشيف النبوءات، واحترقت كثير من الصحائف القديمة، وكان بينها صفحة لم تُكتمل بعد، مكتوب فيها:

"في زمن ستسقط فيه الحقيقة من أعلى البرج،

ستنهض فتاة بقلبين، أحدهما لا يخصّها...

وترافق رجلًا لا يعرف نفسه، لكن قلبه يسبق ظله."

تجمّع الحكماء، واختاروا رحمة لتكون التي تمشي بلا ماضٍ ظاهر، وتُسجّل مصائر الآخرين.

لكنها كانت تُخفي شيئًا...

في الليلة التي تلقت فيها الوشاح الفضيّ للحُرّاس، خرجت خفيةً إلى برج الأرواح المهجورة، حيث كانت تكتب في دفترها الصغير شيئًا واحدًا كل ليلة:

"أنا لا أريد أن أكون ظلًّا. أريد أن أكون لقلبي."

لكنها علمت الحقيقة القاسية: كل مَن يُختار ليُرافق حامل النبوءة، يُمنع عليه الحب... لأن الحب يُفسد التوازن.

ومع ذلك، احتفظت رحمة بسرّها:

أنها في الليلة التي وقعت فيها على اسم "محمد" في كتاب المصير... شعرت بأن قلبها خفق.

ولأنها لم تكن قادرة على العصيان، كتبت على الصفحة المقابلة من الكتاب سطرًا سرّيًا:

"إن اختارني هو قبل أن أختاره... سأترك وظيفتي، وسأختاره أنا."

ولم تخبر أحدًا.

ومنذ ذلك اليوم، وهي تمشي في نوفاريس بحذر.

تتظاهر بالهدوء، لكنها ترتجف حين يبتسم.

تخفي اشتياقًا لم يولد بعد... لكنها ترعاه كأمٍّ تُرضع ذكرى لم تحدث.

وفي كل مرة تنظر فيها إلى محمد وهو يقترب من الحقيقة، كانت تقول في نفسها:

-"كلما اقترب... اقتربت نهايتي كحارسة، وبدايتي كامرأة تحب."

***

الفصل الرابع عشر

مرآة القلب... حين يلتقي الماضي بالحقيقة

وقـــف محمـــد أمـــام بوابـــة "أرض الســـؤال الأخير" ينتظر القرار...

لـــم يكـــن يـــدري إن كانـــت رحمـــة ســـتدخل معـــه، أم أن القـــدر ســـيفرض عليـــه الرحلـــة الأخيرة وحيدًا.

لكـــن قلبـــه كـــان مـــثقلاً بشـــيء آخـــر... ســـؤال ظلّ يُطارده منذ تلك الليلة:

من هي رحمة؟

ولمـــاذا كلمـــا اقتـــرب منهـــا، ازداد بعـــده عـــن كل شيء آخر؟

جلـــس وحـــده قـــرب صـــخرة ملســـاء محفـــور عليها رمزٌ قديم:

عينٌ داخل قلب، وأسفلها مكتوب:

"لا ترى القلب حتى تفقد البصر."

وقبل أن يتأمل النقش، أحسّ بخطوات خفيفة خلفه...

التفت، فإذا بها رحمة، بثوبها الرمادي، وعينيها التي لم تُعد تُخفي شيئًا.

قالت بصوتٍ هادئ، لكنه كان يرتجف:

-"محمد... لا وقت للكتمان. هناك شيء عليك أن تعرفه... عني."

نظر إليها، وقال:

-"كل ما رأيته منك كان صدقًا، فلماذا أخاف الحقيقة؟ قوليها، أريد أن أراك كلّك... لا نصفك."

اقتربت منه، وأخرجت من حقيبتها الصغيرة كتابًا جلديًا، قديمًا... هو كتاب المصائر.

فتحتـــه، ومـــررت بإصـــبعها علـــى ســـطرٍ ممحوّ، ثم همست:

-"فـــي هـــذا الســـطر كـــان مكتوبًـــا اســـمك... بجانبـــه، كـــان هنـــاك اســـمي. لكـــنهم محـــوه... لأن الحـــب ممنـــوع علـــى مـــن خُلقوا لحماية النبوءة."

أطرق محمد رأسه، ثم قال:

-"وأنـــتِ؟ هـــل اختـــرتِ الحمايـــة؟ أم اختـــرتِ أن تحبيني رغم كل شيء؟"

قالت وهي تُمسك بيده:

-"كلمـــا كتبـــت ســـطرًا فـــي الكتـــاب عـــن رحلتنـــا، كنـــتُ أخـــاف أن يكـــون هـــو الأخير...

لكننـــي كتبـــت اليـــوم ســـطرًا جديـــدًا، دون أن يراني أحد.

كتبته باسم قلبي، لا باسم وظيفتي."

فتح محمد الكتاب، فوجد في الصفحة البيضاء:

"اخترتُ أن أكون لك... إن اخترتني، لا كنبوءة، بل كقلبٍ نبض بك قبل أن يولد فيك الحب."

ساد صمتٌ مقدّس.

لم يعد بينهما سوى الصدق العاري من كل رتوش المصير.

قال محمد:

-"إذن... إن كان دخولي أرض السؤال الأخير يعني أن أخسرك، فلن أدخل."

فهمست رحمة:

-"لكنني لن أدعك تُخسر نفسك لأجلي..."

ثـــم أخرجـــت قـــلادة صـــغيرة، فتحهـــا، فظهـرت صـورة لـه... صـورةٌ لـم يرهـا مـن قبل.

قال مذهولًا:

-"من أين هذه؟!"

قالت والدمعة تنحدر:

-"مـــن نبـــوءة رأيتهـــا قبـــل لقائـــك... كنـــتَ طفلًا، تركض في حقلٍ من الضوء.

يومهـــا علمـــتُ أننـــي إن قابلتـــك، ســـأقع. وسقطت... من أول نظرة."

في تلك اللحظة، فتح الباب.

أرض الســـؤال الأخيـــر أُضـــيئت مـــن تلقـــاء نفسها.

لكن بدلًا من أن يدخل وحده...

مدّ محمد يده وقال:

-"لـــــن أواجـــــه الســـــؤال وحـــــدي... لأن جوابي، منذ الآن، هو: رحمة."

أمسكت يده...

وسارت معه

****

الفصل الخامس عشر

أرض السؤال الأخير... الإجابة التي تغيّر العالم

حين عبر محمد بوابة أرض السؤال الأخير ممسكًا بيد رحمة، تغيّر كل شيء.

الضوء هناك لم يكن ضوءًا، بل إحساسًا.

والمكان لا يُشبه أي شيء رآه من قبل، كان بلا حدود...

أرضًا بيضاء، لا فيها شمس ولا ظل، كأنهم واقفون في منتصف الروح.

ظهر أمامهم كائن هائل الطول، لا يُرى وجهه، ولكن صوته كان ينبع من أعماق محمد نفسه.

قال الصوت:

"محمد... لقد بلغت مفترقك.

هنا، لا معنى للأكاذيب، ولا تُسمع الكلمات التي لا تنبع من القلب."

ثم نظر إلى رحمة وقال:

"وأنـــتِ... الراحلـــة عـــن قـــدرك، المختـــارة لقلب لم يُكتب لكِ."

وقبـــل أن ينطـــق محمـــد، انشـــقّ الفـــراغ، وظهـــر أنـــيس... وجهـــه غريـــب، عيونـــه داكنـــة، يحمـــل ســـيفًا فضـــيًّا، وعينـــاه لا ترمشان.

قال محمد:

-"أنيس؟ ماذا تفعل هنا؟!"

ردّ الصوت الغامض:

"لقـد اختُبـر هـو أيضًـا... واختـار أن يسـلك دربًا آخر."

تقـــدم أنـــيس، وعينـــاه مشـــبعتان بـــالحيرة، وقال بجمود:

-"أنت لست كما تظن يا محمد...

كل ما عشته في نوفاريس مجرد تمهيد لإجابتك الحقيقية."

ثم رفع السيف، وأشار نحو رحمة:

-"السؤال الأخير بسيط:

إما أن تختار الحقيقة...

أو تختار الحب.

لكن لا يمكنك أن تملك كليهما."

سقط الصمت.

نظرت رحمة إلى محمد، والدموع في عينيها، لكنها لم تتكلم.

اقترب محمد خطوة، وسمع الصوت في أعماقه من جديد:

"إن اخترت الحقيقة... ستتكشف كل الأسرار، وتصل إلى نواة نوفاريس.

وإن اختـــرت الحـــب... فســـتُغلق البوابـــة، ويبقى كل شيء كما هو، لكنك لن تندم."

ارتعشـــت الأرض... وأصـــبح كـــل شـــيء رماديًا.

لم يعد هناك وقتٌ للتفكير.

اقتـــرب أنـــيس أكثـــر، وقـــال بصـــوتٍ أقـــرب للغضب:

-"لا تكـــن ضـــعيفًا، محمـــد! نحـــن نبحـــث عـــن النور، لا عن العاطفة."

لكن محمد أجاب بهدوءٍ غير مسبوق:

-"وما فائدة النور إن لم نجد فيه دفئًا؟"

ثم نظر إلى رحمة، وقال:

-"كـــل إجابـــة دونـــك... ناقصـــة. وكـــلّ حقيقـــة لا تسيرين معي نحوها... ليست لي."

في تلك اللحظة، اشتعلت القلادة التي كانت على صدر رحمة...

وظهر نور ذهبيّ غطّى جسدها بالكامل.

قال الصوت:

"لقد صنعتَ اختيارك.

وبجرأتك... خلقت طريقًا ثالثًا لم يكن موجودًا."

تلاشى أنيس في غبار الضوء، وبقيت رحمة ومحمد واقفَين.

ثم فُتحت بوابة جديدة لم يرَها أحد من قبل... مكتوب أعلاها:

"بوّابة القلب الواحد... لمن امتلك الإجابة التي لا تُنطق."

أمسكت رحمة بيد محمد، وقالت:

-"أنـــت لـــم تُجـــب بالســـيف... بـــل بالقلـــب. ولهـــــذا ســـــتكتب التـــــاريخ الجديـــــد لنوفاريس."

***

الفصل السادس عشر

ليلى... الوجه الذي لا يموت

فتح محمد بوّابة "القلب الواحد" وهو يشعر بنبضٍ لا يُشبه أي شيء عرفه من قبل.

كان يحمل يد رحمة... ولكن داخله، ارتعش ظلّ قديم.

دخل مع رحمة إلى عالمٍ جديد.

ممرّ من البلّور الأزرق، جدرانه تنبض، وأرضه كأنها صفحة ماء تمشي عليها دون أن تغرق.

وقبل أن يلتفت ليسأل رحمة عن هذا المكان...

سُمع همسٌ ناعم... كأنّه غناء طفلة، لكنه مشحون بالحزن.

ثم فجأة...

تجمّدت الأرض تحت قدميه.

اختفت رحمة من جانبه كأنّ أحدًا سرق الزمن من بين يديه.

ونظر أمامه...

فرآها.

ليلى.

كانت تقف هناك، بثوب أبيض شفاف، يلتفّ حولها كالسحاب.

شعرها مسدول، وعيناها أكثر زرقة من سماء نوفاريس.

لكن الغريب أنها لم تبتسم.

لم تركض نحوه.

بل قالت بصوتٍ رخيم:

-"أخيرًا وصلت، محمد... تأخرت كثيرًا."

ارتجف قلبه، وقال:

-"ليلـــى... أهـــذا حُلـــم؟ لقـــد... ظننتـــكِ رحلـــتِ منذ زمن."

اقتربت منه ببطء، وقالت:

-"أنـــا لـــم أرحـــل... أنـــا انتظـــرت. أنـــت اختـــرت أن تنســـاني، لكننـــي لـــم أختـــفِ... كنـــت فـــي النـــواة، حيـــث تُخـــزن الأرواح التـــي لم تكتمل مهامها."

عقد حاجبيه، وسأل بذهول:

-"مهمة؟! عن أيّ مهمة تتكلمين؟"

قالت وهي تضع يدها على صدره:

-"أنـــا أول مَـــن أحبـــك، محمـــد... أنـــا التـــي حرّكـــت النبـــوءة. حـــين أحببتـــك، تغيّـــر كـــل شيء. ولهذا... أُبعدت."

اقتــرب منهــا أكثــر، لكــن ظــلّ رحمــة بــدأ يظهر في عقله.

قال مرتبكًا:

-"لكنّني الآن... مع رحمة."

هزّت رأسها، وقالت:

-"وهــل الحــب يتعــدّد؟ أم أنــك فقــط... خــائف مــن الاعتــراف أنــك لا تــزال تنتمــي إليّ؟"

ثم رفعت يدها...

وظهرت أمامه مرآة من الضوء.

قالت:

-"انظــر... ســتُريني قلبــك الآن. إن كنــت مــا تــزال تحبنــي، ســيُفتح بــاب الماضــي. وإن كنــت اختــرت غيــري... فلــن ترانــي مجددًا."

سكت محمد... لحظة، ثم خطا نحو المرآة.

اقترب منها، نظر... رأى نفسه.

رأى ليلى...

رأى رحمة...

لكن في عينيه، انعكس شيء آخر:

خيارٌ صعب.

وما إن همّ بلمس المرآة حتى اهتزّت الأرض، وظهر صوت غاضب:

"إيّاك أن تعبث بالمصير، يا محمد! الاختيار تمّ، ولا يُعاد!"

لكن ليلى همست:

-"اخترني... وستعرف الحقيقة التي لم يخبرك عنها أحد.

اخترهـــا... وســـتحيا فـــي النـــور، لكـــن بـــلا إجابات."

كان الزمن يتفتت من حوله.

المرآة تهتز.

ويد ليلى تنتظر.

ويد رحمة، في أعماقه، تستنجد.

هـــل يلمـــس محمـــد المـــرآة، ويخـــوض فـــي ماضيه مع ليلى؟

أم يـــــرفض، ويتمسّـــــك برحمـــــة والمســـــتقبل الغامض؟

***

الفصل السابع عشر

قلبان في وجه الظل... سقوط الفخ

اقتـــرب محمـــد مـــن المـــرآة، يـــده تـــرتعش، وصـــوت ليلـــى ينســـاب إلـــى أذنـــه كأنّـــه نـــداء من الماضي المفقود.

لكـــن شـــيئًا فـــي داخلـــه... ذبذبـــة خفيفـــة فـــي القلـــب، صـــدى لا يشـــبه صـــوتها... كـــان يهمس له:

-"لا تنظر للخلف... فأنت أمام الإجابة."

توقـــف لحظـــة، ثـــم ســـحب يـــده، وأدار ظهـــره للمرآة.

قال بصوتٍ واضح:

-"أنـــا اختـــرت رحمـــة... لا لأنهـــا الخيـــار الأســـهل، بـــل لأنهـــا الخيـــار الأصـــدق. لأنهـــا لم تظهر لتغويني... بل لترافقني."

عنـــدها... تغيّـــر وجـــه ليلـــى. لـــم تعـــد تلـــك الفتاة الرقيقة ذات الثوب الأبيض.

انشــقّ وجههــا عــن قنــاع... وظهــر مــن خلفــه كيــان غريــب، شــاحب الملامــح، عيناه مظلمتان كهاوية.

ضحكت ضحكة باردة وقالت:

-"أحسـنت... يـا وريـث النـواة. نجحـت فـي كشف الوهم."

ارتفعـت المـرآة، وتحطمـت إلـى شـظايا مـن ضـوء، وتنـاثر مـا تبقّـى مـن ليلـى فـي الفراغ.

ثـم عـاد المكـان إلـى طبيعتـه، وظهـر أمـام محمد جدار من الكلمات، مكتوب عليه:

"المُختـار لا يُختبـر بالسـيوف... بـل بالعاطفة."

ظهـر مـن خلـف الجـدار نـورٌ نـاعم، ومنـه خرجت رحمة، عيناها دامعتان.

قالت وهي تركض إليه:

-"كنت أخاف... أن تختار الماضي بدلاً عني."

ضمّها إليه، وقال:

-"لو كان الماضي صادقًا... لما حاول خداعي."

قالت وهي تضع يدها على صدره:

-"أنت الآن جاهز. النواة تنتظرك."

ثم فتحت الأرض من تحتهما، ونزل الاثنان معًا إلى أسفل، إلى حيث لا وجود للزمن ولا للمادة...

إلى قلب نوفاريس.

***

الفصل الثامن عشر

نواة نوفاريس... عندما تتكلّم الأرض

كانت الهُوَّة التي سقطا فيها بلا قاع، والضوء يلتفّ حول جسدَيهما كأنّهما نُجمان في رحم المجرة.

أخيرًا، لامست أقدامهما الأرض... لكن الأرض هنا لم تكن من تراب، بل من ذاكرة.

كل خطوة يخطوها محمد، يسمع فيها صوتًا... ضحكة قديمة، صرخة ماضي، همسة من والدته التي لم يرَها منذ طفولته.

الهواء هنا من مشاعر، والجدران من لحظات لم يعِشها.

قالت رحمة، وهي تنظر إلى النقوش التي تضيء من تلقاء نفسها:

-"هـــذه نـــواة نوفـــاريس... حيـــث تُخـــزَّن الحقيقـــة المطلقـــة. لا يمكـــن لأحـــد الوصـــول إليهـــا... إلا إذا تحمّـــل وزنـــه الكامـــل مـــن الاختيار."

وفجأة... اهتزّ المكان.

ظهـر ضـوء أحمـر غريـب... ثـم خـرج مـن الظـلّ كيـان يرتـدي عبـاءة سـوداء، لـه وجـه مغطـــى بنقـــوش زجاجيـــة، وعينـــان بلـــون الدم المتجمّد.

تقدّم وقال بصوت يشبه الرعد:

-"أخيرًا... أتيت، يا ابن الممر الأزلي."

سأل محمد بحذر:

-"من أنت؟"

ردّ الكائن:

-"أنـــا أزماريـــل... رســـول عـــالم مـــا بعـــد النـــوى. كنـــت أراقـــب نضـــجك منـــذ أن وُلـــدت... وقبـــل أن تولـــد، كـــان اســـمك محفورًا في لُبّ التوازن."

خطت رحمة خطوة للأمام، وقالت:

-"ماذا تريد منه؟"

نظر أزماريل إلى رحمة وقال:

-"أنـــتِ لســـتِ المقصـــودة بهـــذا المصـــير. مكانـــك لـــيس هنـــا... ولكنـــك كنـــتِ المفتـــاح الـــذي فـــتح قلبـــه. وأحيانًـــا... المفتـــاح أثمـــن من القفل."

ثم عاد بنظره إلى محمد وقال:

-"نوفاريس ليست سوى حقل تدريب.

الاختبـــار الحقيقـــي يبـــدأ الآن: إمـــا أن تعبـــر إلـــى عـــالمي، وتُغلـــق هـــذه النـــواة قبـــل أن

تنفجر وتبتلع الأكوان... أو تبقى هنا... وتحيا سعيدًا، لكنك تترك خلفك مصير الملايين."

سكت محمد... الأرض بدأت ترتجف، والضوء يتكسر. قالت رحمة وهي تمسك بيده:

-"اختر ما يشبه قلبك... وسأتبعك أينما ذهبت."

نظر محمد إلى السماء التي تنشقّ فوقهم، ونظر إلى عيني رحمة... ثم إلى أزماريل الذي بدأ يشقّ بوابة من نار.

هل يختار محمد عبور البوابة إلى عالم "ما بعد النوى" ويواجه ما لا يُعرف؟

أم يبقى، ويقاوم من داخل نوفاريس للحفاظ على ما تبقّى من توازنها؟

الفصل التاسع عشر

بين نوفاريس وما بعدها... حين تختبرك الأكوان

تقـــدّم محمـــد نحـــو البوابـــة التـــي فتحهـــا أزماريل.

كـــان اللهيـــب يتـــراقص حـــول حوافّهـــا كأنهـــا فمُ إعصار يريد التهام الضعفاء.

وقبل أن يخطو... تجمّد كل شيء.

سكون.

ظلام.

ثم...

ظهر وجهٌ آخر من وسط العدم.

وجه مألوف.

عيون سوداء كالليل...

ووشم صغير على العنق.

قال محمد بصوتٍ مخنوق:

-"أنيس؟!"

نعم... لقد عاد أنيس.

لكنه لم يكن أنيس الذي عرفه... بل نسخة رمادية، تملأ وجهه شقوق من الحزن والغدر.

قال بنبرة باردة:

-"لا تعبر يا محمد... لا تسلّم نفسك لما هو أعظم منك. لقد مررتُ بما تمرّ به، وخُدعت كما تُخدع الآن."

اقترب منه محمد ببطء:

-"ماذا تقصد؟ كيف عدت؟"

قال أنيس:

-"لم أعد... أنا فقط شظية من ذاتي التي احترقت في الحقول السفلية. أُرسلوني إليك... لأُحذّرك."

التفت أزماريل، عيناه تحمرّان غضبًا:

-"اصـــمت يـــا بقايـــا الماضـــي! لقـــد اخترنـــا محمّد لأن قلبه لا ينكسر."

لكن أنيس صرخ:

-"القلـــب الـــذي لا ينكســـر، قـــد لا يكـــون حقيقيـــاً... أخبرنـــي يـــا محمـــد، هـــل اختبـــرت الخيانـــة مـــن الأقـــرب؟ هـــل واجهـــت ظلالـــك كلهـــا؟ لا زلـــت ناقصًـــا... وإن عبـــرت الآن، ستُفنى."

صمت محمد.

كانـــت يـــد رحمـــة ترتجـــف فـــي يـــده، كأنهـــا تقاتل كل احتمالات الفقدان.

قالت بصوت خافت:

-"إن كنـــتَ ســـترحل... فـــأرجوك، لا تفعـــل ذلك وحدك."

نظـــر إليهـــا... ثـــم إلـــى البوابـــة... ثـــم إلـــى أنيس.

وهمـــــس: "لقـــــد اختـــــرت. لـــــن أهـــــرب. ســـــأعبر... ولكـــــن معـــــي مـــــن يســـــتحق أن يعبر."

خطـــا محمـــد... ومعـــه رحمـــة، إلـــى داخـــل البوابـــة. صـــرخ أزماريـــل بكلمـــات بلغـــة لا تُفهم، واهتزت الأرض من تحتهما.

لكن قبل أن تُغلق البوابة، قال أنيس:

-"ســـنلتقي مجـــددًا... حـــين تســـقط الأكـــوان، وتُبعث الأقدار من رمادها."

ثم اختفى.

دخـــل محمـــد ورحمـــة فـــي العـــالم التـــالي... حيث لا أسماء، ولا أجساد.

بـل الـوعي وحـده هـو السـلاح، والنيـة هـي المصير.

***

الفصل العشرون

عالم اللاشكل... حين تختارك الظلال

انغلق الباب خلف محمد ورحمة... فلم يبقَ من نوفاريس سوى ذكرى.

سقطا في فراغ بلا لون، لا فوق ولا تحت، لا برد ولا حرارة، بل شيء أشبه بصمت إلهي.

ثم بدأ التشوّه...

لم يعودا يملكان جسدَيهما، بل أصبح كلٌّ منهما نقطة ضوء.

أصبح محمد "فكرة"، وأصبحت رحمة "إحساسًا" يحوم حوله، لا يمكنه لمسها، ولا حتى رؤيتها.

قال محمد بصوتٍ داخلي:

-"رحمة؟ أين أنتِ؟"

جاءه صدى همس:

-"أنا هنا... لكن ليس كما كنتُ. هم فصلونا يا محمد... لأن هذا العالم لا يسمح بالارتباط."

ثم انقطعت الأصوات.

فجأة... تشكّلت أمام محمد مرآة من ضباب أسود.

كُتب عليها: "من أنت... بدونهم؟"

نظَر، فرأى وجهًا لا يعرفه.

عيناه دامعتان، وجبهته مشقّقة من الحيرة. ثم تكلمت المرآة، بصوت ناعم خادع:

-"تعال... أنا الحقيقة التي طالما دفنتها. أنا أنت... حين لا يبقى أحدٌ إلى جانبك."

اقترب... حتى كاد يلمس السطح المائع.

لكن صرخة اخترقت الفراغ:

"لا تفعل! إن لمستها... لن تعود كما أنت!"

كان الصوت صوت رحمة.

لكن ما إن التفت محمد حتى اختفت المرآة، وتحوّل العالم إلى شعلة زرقاء، وظهر عرش هائل من عظام الذاكرة.

وهناك... تجلّت الملكة.

كاليسرا.

امرأة ذات شعر طويل كالليل، ووجه مغطى بأقنعة متبدّلة.

كل ثانية يتغير وجهها... مرة بريء، مرة غاضب، مرة مغرٍ، مرة خالٍ تمامًا من الملامح.

قالت بصوت يُشبه صوت أمٍّ تنادي طفلها:

-"مرحبًا يا محمد... أنا نهاية من لا يريد أن يتذكّر. أنا ملكة النسيان الأعظم... جئت لأعرض عليك السلام... أو الفقدان."

قال محمد بثبات:

-"أين رحمة؟ أعيديها الآن!"

ضحكت كاليسرا، ورفعت يدها، فظهرت صورة رحمة، محبوسة في دائرة من ضوء ساكن، غير قادرة على النطق.

قالت:

-"رحمة هي ذكراك الأهم... وإن أردتها، عليك أن تُسلّمني ما تبقّى من قلبك."

ردّ محمد:

-"وما الذي ستفعلينه به؟"

أجابت، وهي تدور حوله بنعومة مريبة:

-"سأمحوه. لن تتألّم بعد الآن. لن تحب أحدًا. لن تحتاج إلى سند... ستكون قوّة خالصة."

سكت لحظة... ثم همس:

-"لكنني لست قوةً فقط... أنا إنسان. وما يجعلني حيًّا... هو أنني أتألّم. هو أنها هناك... تنتظرني."

رفع يده، ونظر إلى ضوء رحمة...

فانشقّ جسده عن وميضٍ نقيّ خرج منه، واتجه نحوها، واخترق دائرة الضوء، واحتضنها في وسط العدم.

صرخت كاليسرا:

-"لاااا! لقد اخترت الضعف!"

لكـــن مـــن الضـــوء، خرجـــت قـــوة غيـــر مألوفة...

انـــدمجت روح محمـــد برحمـــة، وتشـــكلت حولهما "نواة ثانية"...

نواة لا تنتمي لأي عالم.

وهنـــا يُفـــتح فصـــل جديـــد... حيـــث محمـــد، للمـــرة الأولـــى، يمتلـــك قـــوّةً خارقـــة، لكـــن مصدرها ليس الظلام، بل الحب.

***

الفصل الحادي والعشرون

التحوّل... ميلاد نواة الحُب الأولى

حين اندمج نور محمد ونور رحمة في ذلك الفضاء الهلامي، تخلّقت "نواة جديدة" لم تشهدها العوالم من قبل...

نواة كانت تُشبه قلبًا نابضًا، تتدفّق منه شرارات ذهبية تخترق العدم وتُنبت الأمل في أكثر الزوايا ظلمةً.

تراجعت كاليسرا، لأول مرة، خائفة.

صرخت وقد تكسرت الأقنعة على وجهها:

-"ما هذا؟! هذا غير مسموح!

نواة... مصدرها الحُب؟!

لا يوجد أقوى من نواة النسيان! لا أحد تجرّأ أن يحبّ هنا!"

لكن محمد لم يُجب.

كـــان واقفًـــا، عيونـــه تتـــوهج، ويـــداه متصلتان برحمة.

أصـــبح جســـدهما متشـــابكًا داخـــل هالـــة بيضـــاء لامعـــة، وفـــوق رأســـه ظهـــر خـــتم يتـــوهّج بلـــون وردي خافـــت... شـــكل قلـــبٍ تتوسطه عين نارية.

همس بصوتٍ لم يكن له وحده:

-"أنتِ أخطأتِ، كاليسرا.

كنتِ تظنين أن الحب ضعف...

لكنّـــه أعمـــق مـــن أن يُفهـــم، وأقـــوى مـــن أن يُكسر."

صرخت وهي تمزّق جسدها في الهواء:

-"سأمحوكما من الوجود!!"

فتحـــت كفّهـــا، وتـــدفّق منهـــا ســـواد نقـــي، كتنينٍ دخاني ضخم، زأر فابتلع الأفق.

لكن محمد مدّ يده...

وفي لحظة صمت... تحوّل السواد إلى زهور بيضاء، تناثرت في اللاشكل، وتلاشت.

شهقت كاليسرا، والهلع يملأها.

ثم... انشطر عرشها.

تصدّع العالم من حولهم.

وبهمس ناعم قالت رحمة، وهي تنظر إلى محمد:

-"لقد بدأتَ تحكم... لا بالعنف، بل بالحقيقة."

وفي تلك اللحظة... انفجرت النواة الجديدة، ونقلتهما إلى بُعدٍ جديد...

بُعد يُدعى: "بَهو الأوائل".

حيث تجتمع أرواح من سبقوه...

وحيث تُروى الأقدار، وتُمنح الأسرار...

لكن هناك، ينتظره وجه لم يكن يتوقعه.

وجه من الماضي...

ليلى.

ولكنها لم تكن كما تركها... بل كانت تحمل سلاحًا، وعيونها محمرّة كأنها خضعت لقوة لا تعرف الرحمة.

***

الفصل الثاني والعشرون

رماد العشق المسموم... حين ترفع ليلى سيفها

فتح البهو العتيق أبوابه لهما.

كان واسعًا، بلا نهاية، مرصوفًا بأحجار زجاجية شفافة، تظهر من تحتها أرواح ساكنة، كأنها تتأمل الداخلين بصمت أبديّ.

سار محمد ورحمة وسط الهالة النورانية التي لا تزال تُحيط بهما... حتى توقّفا فجأة.

الصمت انكسر.

وصوت خطواتٍ بكعبٍ مدوٍّ تقدّم من الضباب.

كانت ليلى.

لكنها لم تكن كما يتذكّرها.

لم يكن في وجهها أي أثر من ذلك الدفء القديم.

كانت ترتدي رداءً أسود يلامس الأرض، عينها يحيط بها سواد قاتم، وفي يدها اليمنى سيفٌ من لهب أزرق، لا يلمع... بل يهمس.

قالت بنبرة باردة:

-"أخيرًا... وصلتَ."

حدّق بها محمد، قلبه يتقلّب، ولسانه تاه بين الذهول والحذر:

-"ليلى؟ ما الذي حدث لكِ؟"

رفعت السيف، ولم تجب... بل نظرت إلى رحمة.

وقال بصوت يشبه طعنة:

-"هي السبب، أليس كذلك؟

هي من جعلتك تنساني... هي من سرقتك من بين يدي."

تقدّمت رحمة بخطوة، وهمست بثقة:

-"أنا لم أسرقه من أحد... لكنكِ لم تكوني له قدرًا، بل قيدًا."

هزّت ليلى رأسها، وضحكت ضحكة مشوّهة:

-"قيدًا؟ أنا التي صنعت طريقه إلى نوفاريس!

أنا من ساعدته على النجاة من العالم القديم!

لكنه نسي... من أجله سلّمت قلبي... فدفنه."

ثم، وبدون إنذار، انطلقت بسرعة خارقة نحو رحمة، والسيف في يدها يلتمع غضبًا.

وقف محمد بينهما فورًا، ورفع ذراعه...

لكن السيف اخترق الهواء، وشقّ الحاجز النوراني، ولامس كتف رحمة، فتألّمت وسقطت أرضًا.

صرخ محمد:

-"ليلى!!! ستندمين!"

لكن ليلى لم تتراجع... بل همست بصوتٍ مخيف:

-"أريده أن يتألم... كما جعلني أتألم."

هنا... تفجّرت نواة محمد مجددًا، لكن هذه المرة تحوّلت من الضوء إلى لهيب وردي.

ارتفعت طاقته كعاصفة قلبية.

أصبح صوته يُزلزل المكان:

-"كفى! من يحب لا يطعن...

وإن كنتِ جئتِ لتنتقمي، فها أنا أمامك... لكن لا تلمسيها!"

ارتجّت الأرض، وتشكّلت سلسلة من ضوء القلب، التفّت على جسد ليلى، وأوقعتها أرضًا.

لكنها لم تصرخ، بل همست ببكاء مكسور:

-"لم أرد قتلها حقًا... أردت فقط أن تشعر بما عشته وحدي."

اقترب منها محمد، والشرارة ما تزال تشتعل في عينيه.

قال بنبرة منكسرة:

-"الذي يُحب لا يُبرّر طعنته بالألم.

كـــان عليـــكِ أن ترحلـــي... لا أن تعـــودي خنجرًا في ظهري."

ثـــم أدار ظهـــره... ومـــدّ يـــده لرحمـــة، التـــي نهضت بصعوبة.

قالت رحمة بصوتها المكسور:

-"أنا بخير... طالما أنك اخترتني."

أُغمـــي علـــى ليلـــى... لتُســـحب مـــن قبـــل حُرّاس البهو إلى مكانٍ لا يُعرف.

وواصـــل محمـــد رحلتـــه، لكنـــه تعلّـــم درسًـــا مريرًا:

أحيانًـــا، مـــا ظننّـــاه حبًـــا... كـــان تمسّـــكًا بالفقد فقط.

***

الفصل الثالث والعشرون

المختار الأخير... ومفتاح العودة

كان محمد يسير بصمت، ويده تمسك بيد رحمة، وقد لُفّت كتفها بضماد من نور.

صمتٌ مهيب خيّم على أرجاء "بهو الأوائل"، كأنّ المكان يُنصت لنبضه، يقرأ روحه، ويجهّز له النبوءة.

فجأة، توقّفا أمام جدارٍ ضخم، غريب الشكل، تتوسّطه دائرة من رمادٍ ناعم، كُتب حولها:

"حين يظهر المختار الأخير، تنقسم الأرواح إلى مصيرين: واحدٌ يُضيء طريق العودة... وآخر يُطفئ نور الخلود."

مدّ محمد يده دون أن يُفكّر، وكأن شيئًا في داخله يعرف تمامًا ما عليه فعله. ما

إن لمس الدائرة الرمادية، حتى ارتجف البهو، وانفتح الجدار كأنّه يتنفّس.

ومن داخله... خرج كائن من نورٍ خالص، له هيئة رجلٍ عجوز، لكن عيونه كانت كأنها من زمنٍ غير مرئي.

قال الكائن بنبرة رنانة:

-"لقد تأخّرت يا محمد... لكنك أتيت."

سأل محمد وقد انتصب واقفًا:

-"من أنت؟ ولماذا يُنادونني بالمختار الأخير؟"

ابتسم الكائن النوري، واقترب ببطء:

-"أنا أُوريان، حارس الذاكرة الأولى.

كنت أُراقبك منذ أن وُلدتَ في عالمك القديم. أما لقب المختار، فلم يُعطَ لك... بل كُتب عليك قبل أن تولد."

أخذ محمد نفسًا عميقًا، وحين همّ بالكلام، أشار له أوريان أن يتبعه.

دخلوا قاعة أخرى، جدرانها مكوّنة من مشاهد متحرّكة، كأنها شاشات تُعرض فيها ذكريات العوالم.

ومن بينها... ظهرت صورة لمحمد وهو طفل صغير، يجلس في زاوية مظلمة، باكيًا، وحيدًا.

ثم ظهرت صورة أخرى، له وهو يمسك ورقة في عمر الخامسة عشرة، كُتب عليها:

"أريد فقط أن أفهم لماذا أشعر أنني لا أنتمي لهذا المكان..."

هنا، وضع أوريان يده على كتف محمد، وقال بهدوء:

-"منـــذ ذلـــك الحـــين... بـــدأت نـــواة الاختيـــار فيك تنضج.

نوفاريس لم تُخترَع... بل انتظرتك.

ومـــا تـــراه حولـــك لـــيس عالمًـــا موازيًـــا، بـــل صدى نفسك.

أنـــت حلقـــة مغلقـــة، ومحـــورٌ أخيـــر فـــي ميزانٍ قديم."

**

سألته رحمة بصوت متردّد:

-"وهـــل هـــذا يعنـــي... أنـــه لا يســـتطيع العودة؟"

أجاب أوريان بنبرة أشدّ جدية:

-"بـــل يســـتطيع... لكـــن الـــثمن ســـيكون قاســـيًا. فلكـــي يعـــود، عليـــه أن يُغلـــق النواة... ويُضحّي بكل ما شكّلها."

قال محمد، وهو ينظر إليها:

-"تقصد... أن أضحّي بكِ؟"

أومأ أوريان... ثم اختفى.

بقي محمد وحيدًا في القاعة... صامتًا.

كـلّ مـا مـرّ بـه، كـل القتـال، الحـب، الألـم، أصبح الآن سؤالًا واحدًا:

"هل أعود... لأكون نفسي من جديد؟

أم أبقـى... لأكـون جـزءًا مـن شـيء أعظم؟"

***

الفصل الرابع والعشرون

الباب الثالث... حين لا يكون القلب مضطرًا للاختيار

وقف محمد أمام البوابتين، بيضاء وسوداء... وهو يحبس أنفاسه.

إحدى البوابتين تعيده إلى ماضٍ تركه خلفه، بألمه وحنينه، وأصواتٍ ما تزال تهمس له في الليالي.

والأخرى تُبقيه في نوفاريس، حيث القدر الثقيل، والمصير الأعظم، والحب الذي وُلِد من الرماد.

أغمض عينيه، ثم قال:

-"كلّ الأبطال في الحكايات يُجبرون على التضحية... لماذا؟

لماذا لا يُمنح الإنسان حقّ أن يُنقذ قلبه، وعائلته، وعالمه، معًا؟

أليس في الرحمة عدل؟ أليس في الحب قوة؟"

ارتجف المكان، وارتفعت طاقة غير مألوفة من تحت الأرض، كأن الكلمات التي نطقها محمد حرّكت نواة نوفاريس ذاتها.

انفجرت البوابتان في ضوءٍ عنيف.

ومن بين الحطام... نشأ باب ثالث، دائري، يتوهّج بلون الذهب الغامق.

فوقه نُقشت عبارة بلغة لا تُقرأ، لكن قلب محمد فهمها:

-"من لا يطلب الاختيار... بل يطلب التوازن، يُمنح مفاتيح النور."

رحمة حدّقت في الباب، ثم همست:

-"هذا لم يُفتح من قبل... محمد، ما الذي فعلته؟"

أجابها وعيناه تلمعان:

-"لـــم أطلـــب النصـــر... فقـــط طلبـــت ألّا أخسر كل شيء."

عنـــد دخـــولهم مـــن البـــاب الثالـــث، لـــم يجـــدوا أرضًـــا ولا ســـماء... بـــل وجـــدوا أنفســـهم في مساحة تتكوّن من ذكريات وأمنيات.

كـــان والـــد محمـــد هنـــاك... جالسًـــا علـــى كرسيّ قديم، يبتسم.

وكانت والدته تضع يدها على قلبها.

وكانـــت رحمـــة... تقـــف خلفهـــم، كأنهـــا كانـــت هناك منذ البداية.

ظهـــر الكـــائن النـــوراني "أوريـــان" مـــن العدم، وقال:

-"قليلـــون مـــن يســـألون الســـؤال الصـــحيح يا محمد...

الكل يسأل: من أختار؟

لكنك سألت: لماذا أختار؟

ولـــذلك... ســـتُمنح طريقًـــا لا يســـلكه إلا مـــن تجاوز ذاته."

انـــدمجت الأبعـــاد، واختفـــى البـــاب، وتكوّنـــت نوفاريس الجديدة.

لـــم تكـــن مكانًـــا منفصـــلًا... بـــل تجـــلٍّ للعالمين.

مكـــانٌ يســـمح لـــه أن يـــرى عائلتـــه، ويعـــيش معهم، ويُحب رحمة، ويخدم نوفاريس.

محمـــد لـــم ينتصـــر فـــي معركـــة... بـــل فـــاز بالسلام.

***

الفصل الخامس والعشرون

أغنية التوازن... بين قلبين وعالمين

مـــرت أيّـــام... أو ربمـــا لحظـــات، لا أحـــد يعـــرف كيـــف يعمـــل الـــزمن داخـــل البـــاب الثالث.

لكن ما كان مؤكدًا... أن شيئًا تغيّر.

اســـتفاق محمـــد فـــي منزلـــه القـــديم، حيـــث رائحـــة الخبـــز تنبعـــث مـــن المطـــبخ، وأصوات إخوته تتعالى في الخلفية.

نهـــض، وأدرك أن جســـده لـــم يتغيـــر، لكنـــه صـــار أخـــف... كأنـــه خُلِـــق مـــن معنـــى، لا من لحم ودم.

خرج إلى الساحة، فوجد أمّه تنتظره.

حضـــنها طـــويلًا... وكـــأن العنـــاق لـــم يكـــن لأيام، بل لعمر كامل لم يُعاش.

قالت له وهي تمسح على رأسه:

-"قلبي كان يخبرني أنك لم تذهب... بل كبرت فقط، في مكان آخر."

وفي زقاق قريب، كانت رحمة تنتظره.

ترتدي ثوبًا أبيض بسيط، تمسك وردة بنفسجية من أرض نوفاريس.

قالت وهي تقترب:

-"هل تشعر بذلك؟ هذا المكان... صار يخصّنا معًا."

أمسك يدها:

-"أشعر وكأنني أتنفّس من جهتين... من قلبي، ومن قلبك."

سارا سويًا بين طرقات المدينة التي أصبحت تدمج القديم بالجديد.

الأشجار تنمو من حجارة الأرصفة، والأبواب تنفتح على مشاهد من

نوفـــاريس: ســـماء أرجوانيـــة، أنهـــار تـــتكلم، وجبال من الذكريات.

فـــي الليـــل، اجتمـــع محمـــد بعائلتـــه... علـــى طاولة واحدة.

وكانـــت رحمـــة تجلـــس بيـــنهم، لا كغريبـــة، بل كابنة للبيت.

ضـــحك الجميـــع، وتكلمـــوا عـــن الحيـــاة، والماضي، والغياب.

ولأول مـــرة، لـــم يشـــعر محمـــد أنـــه مقطـــوعٌ مـــن شـــجرة... بـــل جـــزء مـــن غابـــة دفنتهـــا العواصف، ثم أزهرت من جديد.

وفـــي اليـــوم التـــالي، زاره أنـــيس، وعلـــى وجهه ابتسامة هادئة:

-"ظننتـــك ســـتعود وحيـــدًا... لكنـــك جئـــت بعـــالمين فـــي صـــدرك. هـــذا لـــيس نصـــرًا

فقـــط، محمـــد... بـــل معجـــزة. مـــن النـــادر أن يختـــــار أحـــــدٌ التـــــوازن، لا التطـــــرف. والأندر... أن يُمنَح له."

ليلـــةً مـــا، بينمـــا كانـــت المدينـــة تغفـــو، وقـــف محمـــد علـــى ســـطح منزلـــه، ينظـــر إلـــى الســـماء التـــي تـــدمج بـــين نجـــوم الأرض... وسُدم نوفاريس.

قال لنفسه:

"ربمـــا لـــم أُخلـــق لأُقاتـــل... بـــل لأصـــلح. وربمـــا لـــم أكـــن تائهًـــا... بـــل كنـــت أبحـــث عـــن بابٍ لا يعرفه أحد.

والآن...

أنا لم أعد مختار نوفاريس فقط.

بل مختار العدل... في قلب العالمين."

هكـــذا، خـــتم محمـــد رحلتـــه... لا بنهايـــة، بـــل ببداية جديدة.

حيث لا يُفرض عليه أن يخسر ليكسب،

ولا أن يُقسّم روحه ليُرضي الجميع.

بل ببساطة... أن يكون هو.

***

الفصل السادس والعشرون

حين يبتسم الباب... ولا يُفتح بعد

كانت الليلة دافئة على نحو غريب.

النجوم أعلى من المعتاد، والهواء مزيج من رائحة الياسمين... ولمسة من الريح التي تهبّ فقط من بوابات نوفاريس.

جلس محمد بجوار رحمة، أعلى برج قديم، لم يعد أحد يتذكّر تاريخه.

لكنّه بالنسبة لهما... كان ملاذًا.

قال وهو يحدّق في النجوم:

-"تظنين أنهم ما زالوا يراقبوننا؟"

أجابت بابتسامة:

-"نوفاريس لا تُراقب... بل تنتظر."

صمت، ثم مال نحوها ببطء، ووضع يده على يدها.

لم يقل شيئًا... لكنها فهمت.

فهمت أنه لا يبحث عن إجابات بعد الآن... بل عن سكينة، ولو كانت بين فوضى لا تنتهي.

همست:

-"إن حدث وغادرنا هذا المكان... يومًا ما... فأنا لا أريد أن أنسى... أنني في عالمين، أحببتك."

أجابها وعيناه لا تفارقان السماء:

-"وإن غابت كل العوالم... سأبني بيننا عالمًا ثالثًا، لا يرى أحد بابه سواك."

في الأفق، حيث تلتقي النجوم بظلّ الجبال، لمحت رحمة ضوءًا صغيرًا يتوهّج ثم يختفي.

قالت: "رأيته مجددًا... الباب الذي لا يظهر إلا مرة كل قرن."

سألها محمد دون أن ينظر:

-"تعتقدين أنه سينفتح... لنا؟"

ابتسمت ولم تُجب.

هبّت ريح خفيفة، وانطفأت إحدى الشُعل على حافة البرج.

وفي لحظة خاطفة...

شعر محمد أن الزمان يهتزّ، أن قلبه يُناديه من بعدٍ لم يعرفه من قبل،

وأن الباب الثالث... لم يُغلق كما ظنّ.

بل...

ما زال ينتظر ابتسامة عاشقين... كي يُفتح مجددًا.

تمّت؟

ربما.

أو ربما... بدأت الآن